

العقائد الدينية و تأثيرها على فن التصوير الهندي

أ.م.د/ محمد ثابت بدارى *

أ.م. د/ سحر بطرس نجيب **

م/آية فتحي محمد فرغلي ***

المقدمة :

"مضى الفن مع البشرية فى رحلة التاريخ الإنسانى عبر الزمن معبراً عن أهداف وطموحات الأجيال المتعاقبة على مر التاريخ ، وفى محاولة تحقيق هذه الأهداف التى ربما كانت مشتركة بين كل الحضارات فإن كل حضارة رأت تحقيقه من زاوية مختلفة تختلف باختلاف الرؤية الثقافية للمبدع والناجمة عن الإختلاف الثقافى والحضارى بين الشعوب ، ورغم ذلك وبرغم ارتباط الفن بالثقافة وبالعصر وبالحضارة التى وجد فيها فهذا لا يمنع من احتوائه على قيم خالدة على مر العصور فارتباط الفن بمنشأه لا ينفى احتوائه على قيم إنسانية وأخلاقية نبيلة وسامية تخاطب الإنسان فى أى زمان ومكان فالتعبير عن جوهر الإنسان فى إطار حضارة ما هو إلا تعبير عن الإنسانية جمعاء.^١

فالفن هو إحدى الوسائل التى تعبر عن البيئة والأفراد التى تمكننا من فهم الحضارات الإنسانية، وتجعل رؤيتها والتعمق فى ثقافتها أكثر إهتماماً، فتتنوع الفنون بتنوع الثقافات وتختلف من مجتمع لآخر ، وتتنوع خصائصها الدالة على عناصر ورموز وزخارف وأساليب تلك الحضارات ، ولهذا فإنها وسيلة للتعرف على عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وثقافتها المختلفة " فالتراث هو أحد المصادر المهمة لإبداع الفنان ، فالفنان عندما يتناول تراثه محاولاً تفسيره وإعادة فهمه وتقييمه، فإن هذه المحاولات اللانهائية تكسب عمله الفنى أبعاداً جديدة"^٢

وتعتبر الهند من البلاد الآسيوية الغنية بالتراث والثروات الفنية والكثير من الأساطير والسحر والخرافة التى تنعكس على عادات وتقاليدها هذا المجتمع. "وبالرغم من أن الفن الهندي يمكن تحديده فى شكل دينى، إلا أنه لا يكفى إظهار شكله الدينى فقط ، ذلك لأنه قد نشأ فى ظل صفته الهندية بتقاليدها ومعتقداتها ورمزيتها وأسلوبها الحياتى على مدى القرون. وكل ذلك له مدلولته الخاص فى ذلك الفن، و ليس هناك عملاً فنياً هندياً واحداً لا يخضع لقوانين إنتمائيه إلى الهند".^٣

ولقد سعى الفنان الهندي أن يكون له مكانة وطابع خاص من خلال كل قطعة فنية يقوم بتشكيلها ويعبر فيها عن مجتمعه وثقافته من أساطير خرافية أو دينية طقوسية فأصبحت أعماله أكثر

* أستاذ التصوير المساعد وعميد كلية الفنون الجميلة - جامعة أسيوط .

** أستاذ التصوير المساعد ووكيل شئون البيئة وخدمة المجتمع كلية الفنون الجميلة - جامعة أسيوط .

*** معيدة بكلية التربية النوعية - قسم تربية فنية - جامعة أسيوط .

^١ - سماء محمد يحيى السيد: القيم الجمالية والتعبيرية لفنون حضارات وسط آسيا كمدخل لإنتاج أعمال تصويرية معاصرة، رسالة

ماجستير ، كلية تربية فنية ، جامعة حلوان ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٦

^٢ - أمل نصر : جماليات الفنون الشرقية وأثرها على الفنون الغربية، أفاق الفن التشكلى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة

الأولى ، أبريل ٢٠٠٧، ص ٧

^٣ - سعد المنصوري: محيط الفنون ، الفنون التشكيلية، الجزء الأول، دار المعارف مصر، ص ١١٩

تعبيراً وجمالاً ، فالموروثات الثقافية لا يمكن فصلها عن الفن فكلا منهما يمثل دعامة للآخر ، ويجب دراسة كل تلك العوامل التي تمثل الروح المميزة لكل بلد عن غيره وكل حضارة عن غيرها " فالهند حضارة ضخمة لما فيها من تنوع وشمول وتعدد فى الديانات والثقافات التي كانت تنهل من الطقوس الدينية والأساطير والحياة اليومية بما تصوره من تعدد طبقي واسع التفاوت بين الأجناس والأديان والعقائد والأساطير والملاحم المختلفة التي لا تزال على الألسن حتى اليوم".^٤

ومنذ عصور ما قبل التاريخ كانت الفنون أداة للتعبير عن المعتقدات فى مناطق الهند المختلفة ، وقد عرف الهنود الأوائل الألوان فى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ونفذوا رسوماتهم على جدران كهوف شمال الهند "وبالرغم من أن التصوير الهندي لم يعرف البعد الثالث استطاع الفنانون بالاستخدام الحائق للألوان الفاتحة فى أمامية الصورة والألوان القاتمة فى خلفيتها توفير قدر من التجسيم لشخصهم بعد أن درسوا بعناية شديدة كل وضعية من الوضعيات فبدت الشخصيات تنبض بالحوية والنشاط".^٥

" ولم يكن الإنسان الهندي البدائي محاطاً بأية ضوابط فنية معينة ، بل جاءت رسومه إلى الحياة فى حرية كاملة وإستطاع من خلال رسمه للحيوانات والطيور فى أبعاد ثنائية تحقيق إستخدام جيد للرموز والإضاءات الخفيفة والظلال ، وبعض تلك الرسوم كان يشبه الإستكتشات الأولية ، فكان لها تحديد خارجى دون ظلال ، فالساق والبدن الضخم يدل على الفيل والريش الطويل يمثل الطاووس ، والقرن المزخرف يمثل أنثى الغزال فى حين جاءت بعض الرسوم ذات ألوان وظلال جذابة "^٦

" أما التصوير البوذي فى نيبال والتبت فقد إستخدم الفنان الألوان الرمزية ، وفى نيبال كانت الرسوم مسطحة ومزخرفة وإقتصرت الألوان فيها على درجات الأحمر والأصفر والأزرق والأسود والأبيض بالإضافة إلى بعض درجات الذهبي مع استخدام الإسلوب الخطي وإظهار العين كاملة من جانب الوجه " ، و مع الفتح الإسلامى للهند تجد فى التصوير المغولى مجموعة من الصور المرسومة على القماش والتي تلاحظ فيها مهارة ريشة الفنان فى تسجيل التفاصيل الدقيقة للمناظر الطبيعية كما يظهر بها إهتمام الفنان بعمل دراسة شخصية لوجوه الأشخاص"^٧

ومن هنا فقد أدخل الغزو المغولى للهند ، فن التصوير فى مرحلة أكثر تطوراً ، وربطه بعقيدة جديدة هى الإسلام وبحكام جدد هم أباطرة المغول ، وقد اثر ذلك على الفن الهندي فبدأت التقاليد الهندية القديمة تتوارى شيئاً فشيئاً ، وبدأ التصوير الإسلامى يعكس حياة الناس حكام ومحكومين فى جوانبها المختلفة (الدينية والاجتماعية والثقافية) " ثم ظهر إلى الوجود نمط فني متكامل يجمع بين

^٤ - يولا علي شاهين: التصوير المعاصر بين الحداثة والموروث فى مصر وسوريا والهند ، رسالة ماجستير ، كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٧

^٥ - ثروت عكاشة : التصوير المغولى الإسلامى فى الهند ، موسوعة العين تسمع والأذن ترى ، الجزء الثالث عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٧

^٦ - www.kamat.com/kalranga/rockpaintin.htm

^٧ - نعمت إسماعيل علام: فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية، دار المعارف، ١٩٨٢م، ص ٤ .

الفنون الهندوسية والإسلامية وإستمر الوضع على ما كان عليه بعد إستقلال الهند حيث تصور أعمال الفنانين المسلمين والهندوس والبوذيين مختلف جوانب الحياة فى منطقة وسط آسيا إضافة إلى ذلك فقد أخذ هؤلاء الفنانون بمدارس التصوير الحديثة وطوعوها لتناسب مع قيمته وتراثه الحضارى الضخم والمميز^٨

ثم استقل الفن الهندي وأخذ شكلاً أكثر تطوراً عمل على ربط مصادره ومنابعه التراثية والثقافية وأوضاعه السياسية والإجتماعية فعبّر الفنانون من خلال مدارس التصوير الحديثة عن واقعهم من خلال لغتهم الفنية الثرية بالرموز مؤكدين على قيمهم الثقافية والتراثية مما أكسبهم أسلوب متفرد .

مشكلة البحث :

يعتبر الفن الهندي من الفنون الزاخرة بالأديان المختلفة والمتنوعة ، ويتناول هذا البحث دراسة لبعض المعتقدات الدينية التى أثرت بشكل كبير فى فن التصوير الهندي وأعطته طابع خاص عن غيره من الفنون .

وفى ضوء ذلك تتحدد المشكلة فى محاولة الإجابة على التساؤل التالى :

- ما إمكانية الإفادة من دراسة المعتقدات الدينية و تأثيرها على فن التصوير الهندي ؟

أهداف البحث :

- ١- الإستفادة من دراسة المعتقدات الدينية فى إثراء فن التصوير الهندي .
- ٢- دراسة تحليلية للجوانب الثقافية والدينية للكشف عن القيم الفنية فى المدارس الفنية الهندية .

أهمية البحث :

تبرز أهمية البحث فى:

- ١- التعرف على جماليات الفن الهندي من خلال دراسة المدارس الفنية .
- ٢- توضيح أثر العوامل الدينية على تشكيل فنون وحضارات المجتمع فى الهند .
- ٤- التأكيد على أهمية تنوع المصادر الفنية والدينية للفنان لإثراء الرؤية الفنية لديه .
- ٥- تأكيد دور العوامل الدينية فى الإستلها م منها فى الفن المعاصر .

فروض البحث :

تفترض الدراسة ان:

- ١- هناك علاقة إيجابية بين المعتقدات الدينية و بين القيم التشكيلية للفن الهندي .
- ٢- أن العوامل الدينية أثرت على فن التصوير الهندي بشكل كبير .

حدود البحث :

يقتصر هذا البحث على :

^٨ - كريشنا شيتانيا:المساهمة الإسلامية فى الفن الهندي الحديث،بحث منشور .

- تناول مختارات من التراث الديني في الهند على مر العصور، و كذلك بعض المدارس الفنية

منهجية البحث :

تعتمد الدراسة في هذا البحث على المنهج (التاريخي - الوصفي) من خلال الآتي :

الإطار النظري :-

حيث تتبع الدراسة الخطوات الآتية :

- نبذة تاريخية عن الحياة الدينية في الهند.

- عرض بعض مدارس التصوير الهندي.

- عرض النتائج والتوصيات المقترحة.

العوامل الدينية التي أثرت على الفن الهندي

الهند شبه قارة مترامية الأطراف ، جغرافيتها وتاريخها ، وثقافتها وشعوبها الذين لهم خصوصية عاداتهم وتقاليدهم من حيث الديانات المختلفة وشعائرها وفلسفتها ونظم طبقتها و" الهند بلاد تعدد طبيعتها ومناخها ، وهي كتلة بالغة الضخامة من اليابس تصل مساحتها إلى المليونين من الأميال المربعة ، أي ما يزيد عن نصف مساحة القارة الأوروبية ، فيها تمثيل كامل لمختلف عروق الإنسان، وما عرفه من فنون وآداب ، وما اعتنقه من مختلف العقائد منذ ظهور الوثنية حتى إهداء الناس بالتوحيد"^٩ وهذا التنوع الجغرافي أدى إلى تنوع سكانها، الذين تختلف بشرتهم من فاتحي البشرة في الخليط الهندوسيني والملايا ، إلى ذوي البشترات السمراء (الداسيو)، إلى السلالات البشرية المختلفة الناتجة عن زواج الهنود من البرتغاليين ، والزنج الأفارقة - والأثيوبيين واليهود والعرب ، و قد أثر هذا التنوع في تفكير السكان و إتساع عقولهم لقبول الفوارق الشتى ، كما أن مساحتها الواسعة أوجدت سبيلاً للقادمين إليها من الخارج ليعيش كل منهم وفقاً لظروفه و من هنا كانت روح التسامح و تقبل الآخر التي تميزت بها الهند " وكل هذا التنوع الجغرافي والعرقى تعادل ووصل إلى ما يشبه الإلتحام فوجد أن التنوع والإنسجام الجوهري ينعكسان معاً في وقت واحد في الفن الهندي ، وليس هناك شئ يكشف عن هذا الإرتباط أكثر من تشابه المدارس الفنية الهندية ."^{١٠}

المعتقدات الدينية:

"إن أهم ما يميز الإنسان في كل العصور مهما اختلفت جنسيته هي العقيدة ، فهي التي يهتدى بها في كل أمور حياته ، و العقيدة هي التي تعبر عن صلة العبد بربه و تحدد مسيرته في الحياة، و من هنا يمثل الدين عاملاً محورياً في حياة الشعب الهندي، و في عاداته و تقاليده و فنونه"^{١١}

^٩ - علا زين العابدين محمد: الخصائص التشكيلية للمشغولات المعدنية الهندية و الإستفادة منها في إستحداث مشغولات معدنية، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٧، ص ٢٠ .

^{١٠} - لمياء مصطفى صديق: جماليات التكوين في الجداريات الدينية بالكهوف الهندية، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة ،

جامعة حلوان، ٢٠٠٦، ص ١٩

^{١١} - علا زين العابدين محمد: مرجع سابق - ص ٤١

أهم المعتقدات الدينية :

الفيدا (Vedas):

فى وقت ما بين عامى (١٥٠٠-٢٠٠٠ق م) غزت قبائل الآريين الهند و إستقرت فى البنجاب و أنشأت مجموعة من التراتيل أسموها الفيديات (Vedas) أو كتب الحكمة و التى تألفت منها الريح فيدا و هى من أقدم الكتابات الدينية الحية فى العالم، أما "أقدم الآلهة التى ذكرتها أسفار الفيديا فتتمثل فى قوى الطبيعة وعناصرها (الماء والشمس والأرض والنار والضوء والريح والماء). وأقدم الكتب الفيداوية:

- الريح فيدا (Rig-veda) ومعظم تراتيله موجهه إلى أندرا إله السماوات.
 - الساما فيدا ((Sama-veda) و تحوى أغاني و أدعية و أوراد منظومة ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الدعوات .
 - الياجور فيدا (Yajura-veda) العبارات التى يتلوها الرهبان عند تقديمهم القرابين .
 - آثارفا فيدا (Athra-veda) مقالات فى السحر والرقى وتعاويذ لإغراض طبية و طلاس سحرية تساعد على الإنتصار فى المعركة .
- العقيدة البراهمانية (الهندوكية) :

كانت ديانة الآريين هى الأساس الأول للديانة الهندوكية التى نشأت نتيجة إمتزاج بين عدد من المعتقدات المختلفة ، و " البراهمانية أو البراهمية تعنى فى اللغة السنسكريتية (المعرفة) وتنطوي البراهمانية على مبدأ (وحدة الوجود) الذى شاع فى كافة الديانات الهندية تقريبا ، وهو المبدأ الاول من بين المبادئ التى يقوم عليها كتاب (الأوبانيشاد Upanishad) فكل فرد من البشر ما هو إلا جزء من (الحق الفرد) أو (الأصل الواحد الأحد) وهو إن انفصل عنه ظاهراً فلا بد من رجعة إليه واندماج فيه آخر الأمر . وسجل به المعانى الدينية التى تضمنها كتاب الفيديا فى قالب رمزى فلسفى، ومن بين تلك المعانى ما يحمل فكرة تناسخ الأرواح المسمى فى الهندوكية (سمسرا Samsara)، فالإنسان يموت مرات قد لا يكون لعددها آخر، والروح تتقمص بعد كل موت جسماً جديداً - أو ما يسمى (كرما Karma) - على مدى ما ترتبط به أعمال المرء السابقة من خير أو شر .

العقيدة البوذية (Buddhism):

نشأت البوذية فى الأصل داخل التقاليد البراهمانية ، ثم تحولت عن مسارها عندما قام بوذا شكل (١) بإنكار المبادئ الأساسية فى الفلسفة الهندوكية، ولم يعترف بكتابات الفيديا ومظاهر وطقوس عبادة الآلهات التى كانت تقوم عليها، كما حارب عقيدة تناسخ الأرواح و إعتبرها أم الخبائث و أس المشكلات ، و كان بوذا يرفض المبدأ القائل بأن القيمة الروحية للإنسان تتحدد عند ولادته (نظام الطبقات الإجتماعية الهندوكى) فكانت التعاليم الجديدة التى بشر بها موجهه إلى كل الطبقات الإجتماعية بدون إستثناء ، و إكتفى بتهذيب النفس و التدريب على السلوك و الأخلاق الفاضلة .

الهندوسية (الهندوكية الحديثة) Hinduism:

الهندوسية موضوع واسع و هي أسلوب في الحياة أكثر من كونها مجموعة من العقائد، بلغ تاريخها ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة و ربما أكثر و يعتنقها اليوم مئات الملايين، و يرى الهندوس أن "الحقيقة الأبدية تتمثل في مظاهر حياة الإنسان الثلاثة، التي تنحصر في الولادة و الموت وما بينهما من حياة و يرمز لتلك المظاهر بثالوث إلهي مكون من براهماة و فشنو و شيفا"^{١٢} شكل(٢،٣،٤)

الجينية(Jainism):

وهي من العقائد التي نشأت في الهند ، في القرن السادس ق م ، و إنتشرت بها ولا تعترف الجينية بأن هناك كائن أعلى مرتبة من الإنسان الكامل الذي يترك لذات الحياة و يسعى إلى الصفاء الروحي ، و تؤمن بأن روح الإنسان لا صلة بينها و بين روح الكون بل تبقى خالدة قائمة بذاتها، و تتميز بإيمانها بالتراحم بين جميع الكائنات ليس الإنسان فقط بل هي تعم الحيوانات و النبات و حتى الكائنات الدقيقة الموجودة في الهواء .

السيخية(Sikhism):

هي النظام الديني الذي علمه للناس المعلم الروحي(ناناك) في البنجاب خلال العقود المبكرة من القرن ١٦ ، و تعرض تعاليم ناناك في العادة ، على أنها مزيج ملفق من تراث الهندوس و إيمان المسلمين ، و تلك مبالغة مسرفة في التبسيط ينبغي رفضها رفضاً تاماً حين يعبر عنها بأنها (خليط من الهندوسية والإسلام)^{١٣} فقد كانت أهم العناصر التي بنيت عليها هي رفض نظرية الأفتار(Avatarata) (تجسيد الآلهة) ، كما إستخف ناناك بعبادة الأصنام، و كان يسعى إلى العبادة الباطنية و التأمل حتى تبلغ الروح مرحلة الإنعتاق المطلق بإندماجها في الله و هي عملية متدرجة تمثل سلسلة من المراحل آخرها هي المسماة عالم الحقيقة(ساخ كهاند Sach Khand) وهي المرحلة التي يسعى المرء للوصول إليها .

نشأة الفن الهندي القديم:

نشأ الفن الهندي أول ما نشأ متحرراً متنوعاً ، ثم ما لبث أن أصبح فناً جامداً أسيراً لنواميس فنية جامدة مستقاه من التقاليد و الأعراف الهندية ، فغداً فناً كهنوتياً بعد أن ظهرت كتب تضم قواعد و أصول تلزم الجميع بإحتذائها ، فقد كانت الهند هي مهد الكثير من الطرز الفنية في شرقي آسيا بصفة عامة ، و على غرار فناني العصور الوسطى المسيحيين إهتم الفنانون الهنود بصفة خاصة بتمثيل عالم الآلهة الغيبى و قوى الطبيعة الخارقة ، فلم يبالوا كثيراً بالتمثيل الواقعي للأجساد أو بالنسب بقدر ما عنوا بتمثيل مشاعر الرهبة و الرعب و التبجيل"^{١٤} فنجد أن الفنان البدائي لم يتقيد بأي قوانين فنية ، فجاءت أعماله مملوءة بالحرية و التعبير و إستخدم الرمز للدلالة عن أشكال الحياة

^{١٢} - سعد المنصوري - مرجع سابق - ص ١٢٢ .

^{١٣} - جفرى بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب - ترجمة إمام عبد الفتاح إمام - عالم المعرفة ، العدد ١٧٣ - مايو ١٩٩٣ م - المجلس الوطنى للثقافة و الفنون و الآداب - الكويت - ص ٢٠١ .

^{١٤} - ثروت عاكشة: موسوعة تاريخ الفن: العين تسمع و الأذن ترى فنون الشرق الاقصى (الفن الهندي) - الطبعة الأولى - دار الشروق - ٢٠٠٥ ، ص ٤٣ .

المختلفة " فرسم الحيوانات و الطيور بضريبتين أو ثلاثة من لمسات فرشاته ، و تجلى إستخدامه الجيد للرموز فى رسمه للخرطوم كرمز للليل و الريشة الطويلة كرمز للطاوس أما القرن المزين فيرمز إلى الغزالة الأنثى "١٥ كما إستخدموا أسلوب الشفافية فى رسم العناصر فكان يميز بين صورة الرجل و المرأة برسم رحم صغير داخل جسد المرأة . أما بعد ظهور الديانات الهندوكية و البوذية و الجاينية بدأ وضع قواعد للشكل المثالى المعبر عن الآلهة، فترى العقيدة الهندوكية أن جمال التحف الدينية تضى عليها مزيداً من القداسة التى تجذب الآلهة نحوها من خلال الزخارف الواضحة عليها.

التصوير فى الكهوف الهندية :

إن الرسوم البدائية التى أكتشفت على جدران الملاجىء الصخرية الهندية فى عصور ما قبل التاريخ لم تمتلك لها تاريخاً محدداً ، فقد كانت تغطى برسوم أحدث منها مما زاد من صعوبة تحديد تاريخ لها ، كما أن الرسوم الموجودة قليلة لقدمها من جهة و لعدم ثبات المواد المستخدمة فى تنفيذها شكل (٥).

وقد كانت رسوم الكهوف البدائية تنقش لغرض سحرى فقد سيطر على الإنسان البدائى أن رسمه للحيوانات يمكنه من السيطرة عليهم ، و يزداد تأثير هذه الرسوم عندما ترتبط بطقوس سحرية ، و لقد إنجذب الإنسان الهندى إلى التصوير على جدران الكهوف منذ عصور ما قبل التاريخ ، و تقدم لنا أحد الأساطير الهندية القديمة بداية نشأة هذا الفن فى الهند ، فتروى أن الرجل الهندى الحكيم (نارايانا) قد خلقة لمنفعة الناس و لكى يثير دهشة بنات السماء ، فرسم بنتاً جميلة جداً و أطلق عليها فيما بعد (إيسارا الجميلة) و أصبحت فيما بعد أحد أشهر الموتيقات الجدارية الهندية "١٦ و أقدم ما تبقى لدينا منها هى الرسوم المكتشفة فى مدخل إحدى المغارات القريبة من قرية (سنفامبير) قرب (زيجارا) بوسط الهند، و هى تتشابه مع الرسوم الجدارية الموجودة فى كهوف (كوجيل) بأسبانيا ، و تمثل هذه الرسوم ثور جريح و رجال ملتفين حوله و قد إستخدم فى تنفيذها المغرة الحمراء مثلها مثل رسوم (ميرابور) التى تمثل مشاهد الصيد"

الألوان و الأصباغ:

و قد عرف الإنسان الهندى البدائى الألوان و " كانت الأصباغ و الألوان المعروفة لدى إنسان العصور القديمة و إنسان الكهوف تتمثل فى : البنى والأحمر و الأسود و الأبيض ، و التى عادة ما كان يحصل عليها من دماء الحيوانات و من مخلفات الطبيعة ، كما كانت الأصباغ تستخرج من الطبيعة أى من المواد المتوفرة أمام الإنسان مثل التربة و الفحم و الطباشير الكلسى و عصير الفواكهة و أغصان النباتات و أوراقها و عصير الورود والأزهار و الثمار إضافة إلى دماء الحيوانات التى إستخدمها الإنسان فى رسومه الأولى على جدران الكهوف "١٧ و قد إستخرج اللون الأزرق

١٥ - سماء محمد يحي السيد-القيم الجمالية و التعبيرية لفنون حضارات وسط آسيا كمدخل لإنتاج أعمال تصويرية معاصرة- مرجع سابق ص ٢.

١٦ - (Kramisch, stella: The Art Of India, Tradition Of Indian Sculpture, Painting and Architecture, p. 9)

١٧ - لمياء مصطفى صديق-مرجع سابق-ص ٩٢

النيلي من نبتة (النيلة) و اللون الأحمر من (الفوة)

كما ذكر الأدب الهندي القديم أن الفنان الهندي قد إستخدم فى أعماله التصويرية الحديد المأكسد، و بودرة الذهب و اللازورد الأزرق ، و الفضة و النحاس و الرصاص الأحمر و القصدير، و الزنك الأبيض و المرمر الأخضر و أخضر الملايكة .

فإن الألوان التى إستخدمها الهنود فى المعابد كانت أما من اصل نباتى أو معدنى و لا يعرف إلى الآن تكوين هذه الألوان بصورة دقيقة فقد كان يتم تكوينها بطريقة معقدة و يعلمها الفنانون لتلاميذهم فقط، كما وجدت ملونات أخرى من مصادر صناعية مثل أسود المصباح، والأسود العاجى والأخضر الزنجار (Verdigris) و هو عبارة عن صدأ النحاس و البرونز.

كهوف أجانتا: (Ajanta)

نحتت فى ديكان مجموعة من الكهوف تسمى كهوف أجانتا و قد نحتت فى صخرة بركانية بهضبة (ماهاراشترا)، وسط منظر طبيعى رائع، و" تنتمى لفترة إمتدت ثمانية قرون تبدأ من القرن الثانى قبل الميلاد ،و تستمر حتى القرن السادس الميلادى، وتتكون كهوف أجانتا البوذية من ثلاثين كهفاً صخرياً ،تتخذ شكل حدوة الحصان ، شكل (٦) و هى مليئة بالمنحوتات و الصور الجدارية الرائعة و التى تم نحتها على مرحلتين يفصلهما أربعمئة سنة كاملة و تتزامن هاتان المرحلتان المعماريتان مع اثنتين من مدارس الفكر البوذى^{١٨} هما الهينايانا و الماهايانا ،كما صورت مشاهد من حياته و قصص ولادته و كذلك بعض الشخصيات الخرافية.و قد دمجت صور أجانتا جميع التقاليد الفنية القديمة فى فن التصوير الهندي و ظلت هذه التقاليد الفنية يتوارثها الهنود لقرون طويلة .

مدارس التصوير الهندية:

" التصوير الهندي هو قبل كل شئ فن الخطوط المحوطة الخلابة و إن كان يعزوه الفهم الصحيح للبنية التشريحية فى الإنسان و كذا قواعد المنظور و إدراكه للمناظر الطبيعية على حقيقتها فلقد عوض هذا كله بخطوطه المعبرة و المهارة فى تناغم الألوان و شيوع العاطفة الحادة فى مصوراته" ، و المدارس الهندية القديمة موضوعاتها إما دينية تمثل صوراً من حياة بوذا و بطولات الآلهة الهندوكية، او موضوعات عن الصيد و الحياة العامة .

المدرسة البوذية: (٢ق م-٦م)

إنتشرت البوذية فى القرن السادس ق.م و إمتدت إلى خارج الهند وقد كان لها إسهاماً كبيراً فى مجالات الفنون الهندية كما كان لفن التصوير دوره الكبير فى إنتشار البوذية وقد نشأت مدرسة خاصة (المدرسة البوذية) تضم أساليب الرسم فى وقتها .

" ومن أجمل أعمال التصوير البوذي تلك الذي نفذت فى كهوف أجانتاوتتنتمى للفترة من القرن الثانى قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادى"^{١٩} وتتميز هذه المدرسة بالدقة والمهارة فى نقل الطبيعة

^{١٨} - لمياء مصطفى صديق-مرجع سابق- ص ٧٠

^{١٩} - 89 - Dadabhai noors rood:Allistory of fine art in india and Ceylon,tresar house of books,Bombay,p.89

وكذلك الدقة فى رسم الأيدي والأرجل وموضوعاتها ذات طابع دينى وتصور مراحل متعددة من حياة بوذا كما تناولت أيضا مشاهد الحياة العامة مثل موضوعات الصيد (صيد الأفيال و الكلاب و الطباء) وموضوعات العاطفة مثل (صور العاشقين - الأمومة) .

والألوان المستخدمة هى الأبيض ، الأحمر ، البنى ، الاخضر الفاتح ، الأزرق ، الأسود ، واستخدام الأوضاع الجانبية للأجسام والبورتريه إلى جانب العين اللوزية التى تشبه عين الطائر.

مدرسة بالا (8) : Pala م- ١٢ م)

وقد جاءت مدرسة بالا على غرار تقاليد التصوير الجداري فى أجانتا حيث ترسل الخطوط المحوطة للأشكال ومن ثم تشبع بالألوان ثم يؤكد الخطوط الخارجية بألوان أعمق ويتميز التكوين بالبساطة والتناسق .

المدرسة الجاينية : (١١ م - ١٧ م)

أو مدرسة البرامزا وقد " ازدهرت فى جوجرات وراجستان ويضع مراكز فنية إبتداءا من القرن الحادي عشر إلى السابع عشر ، وجميع مخطوطات هذه المدرسة جاينية تتناول موضوعاتها المصورة النصوص الدينية الجاينية ، كما تناولت فى مراحلها المتأخرة تصوير الموضوعات الدينية البراهمانية ، وتتميز هذه المدرسة برسم الأشخاص بزواوية ثلاثية الأرباع وبعيون جاحظة وأنوف بارزة وذقن جليلة ويتميز أسلوبها بالتحوير الشديد والألوان الزاهية ، كما استخدم الذهب واللآزورد بسخاء" وقد اختلفت كل مدرسة عن الأخرى نتيجة لعدة عوامل منها التأثير والتأثر بالبيئة المحيطة. و يتضح ذلك من خلال لوحة تكريس ماهافيرو مؤسس الديانة الجاينية "و يبدو ماهافيرو متقلداً عقداً مزيناً بالأساور و مرتدياً تنورة ، على حين يشد شعره بغيّة التخلّص منه ، جالساً أمام الآله (تشاكرة) الذى يحمل حربته ثلاثية الشعب و يستدل على الوهيتة و سلالتة الملكية بالهالة المحيطة برأسه و المظلة التى تعلوه. و جاء فى المخطوطة التى تظهر بها هذه المنمنمة أن حفل التكريس جاء أعلى الجبل ، و من هنا ظهرت فى أدنى الصورة بعض القمم الجبلية ، و تبدو الشخصيتان فى وضعة جانبية ثلاثية الأرباع ، غير أن العين البعيدة تبدو- كما تقضى الأعراف الجينية - كاملة مواجهة بارزة الوجنة."^{٢٠}

شكل (٧)

و يتضح من ذلك أن موضوعات المدارس الهندية القديمة تتمحور حول الديانات البوذية و الهندوكية و الجاينية و بعض الأساطير ، و اللوحات تمتاز بالدقة فى تمثيل الطبيعة و رسم الأيدي و الساق ، و الأشكال محددة بخطوط سوداء و الملابس بيضاء ذات خطوط حمراء، مع محاولة تجسيد الأشكال و إظهار البعد الثالث، و رسم الأوضاع الجانبية و ثلاثية الأرباع للوجه و عين الطائر.

مدارس الهند الإسلامية:

^{٢٠} ثروت عكاشة: للتصوير الإسلامى المغولى فى الهند - مرجع سابق - ص ١٨

^{٢١} ثروت عكاشة: الفن الهندى - مرجع سابق - ص ٢٢٩

منذ أواخر القرن العاشر الميلادي ظهرت عدة مدارس تمثل أسلوب التصوير الهندي في ذلك الوقت ، حيث تأثرت بعض المدارس بالفن الأوروبي و الفارسي و التركي، كما ظلت متمسكة بقواعد الفن الهندي القديم وقد حاول الفنان المسلم صهر هذا التراث القديم و تحويله ليخدم التعاليم الدينية الجديدة.

المدرسة الدكنية : Deccani School

ومعناها الجنوب ، وتقع ديكان على هضبة عليا في الجزء الجنوبي من الهند ، "وسمي حكامها من المسلمين باسم الباهمانديين (١٣٤٧-١٥٢٧ م) ، و ينتسب حكامها للسلطين العثمانيين، و قد دعوا الباحثين و الرسامين من تركيا و غيران حيث إزدهر فن التصوير في منتصف القرن السادس عشر و حتى الفتح المغولي في (١٦٨٦-١٦٨٧م) وكانت أشهر المراسم في بيجابور - أحمد شاجار - جولسوند" ^{٢٢} و قد ظهر أسلوب متميز في التصوير بإقليم الدكن أطلق عليه المدرسة الدكنية وكان شبيها بأسلوب مدرسة الإمبراطور أكبر.

أسلوب مدرسة ديكان :

إمتزجت أعمال الفنانين بالتقاليد الهندية المحلية ونماذج البلاط العثماني ، كما تأثرت بأسلوب اللوحات الغربية ، "وموضوعاتها تتناول الحياة العامة والموضوعات الهندوكيه ، المسيحية والحياة العاطفية المتمثلة في موضوعات راجمالا (الأكايل الموسيقية) والمهرجانات والإحتفالات ، وتتميز المرحلة الأولى للمدرسة ببراء الألوان وبراعة الرسم كما تتميز بالإستطالة في الأشكال ورسم ثنايا الثياب على هيئة دوامات ، أما الخلفيات فتمتلئ بالأشجار والزهور فتغلب على هذه المرحلة النزعة الشكلية" ^{٢٣} وتأثرت المدرسة الدكنية في المرحلة الأخيرة بالفن المغولي بعد إنتشار سلطان المغول ، وأصبحت بهذا فرعا من فروع المدرسة المغولية وتناولت مشاهد البلاط الملكي والبورتريهات كما تهتم بالمخطوطات والراجمالا .

المدرسة المغولية (القرن الخامس عشر الميلادي) :

أدخل الغزو المغولي للهند فن التصوير الهندي في مرحلة جديدة أكثر تطورا ، حيث ربط فن التصوير بعقيدة جديدة هي الإسلام فأخذت التقاليد الهندية تتوارى شيئا فشيئا وارتبط فن التصوير بحياة الناس سواء حكام أو محكومين في جميع جوانبها (الدينية والاجتماعية والثقافية) وإهتم أباطرة المغول بتسجيل الأحداث التاريخية والشخصية وإصطحاب الفنانين معهم في السلم والحرب لتسجيل الأحداث الهامة ، وإستمرت المدرسة المغولية قرابة قرنين من الزمان بتفوقها وتميزها وفرضت نفسها وإستحقت أن تصنف ضمن مدارس التصوير الإسلامي .

^{٢٢} - كريم حسين أحمد:دراسة مقارنة بين التصوير في مدرسة إيران و مدرسة الهند الإسلامية- رسالة ماجستير - كلية الفنون

الجميلة-جامعة حلوان -١٩٩٢م-ص ٨٥

^{٢٣} - ثروت عكاشة:التصوير الإسلامي المغولي في الهند-مرجع سابق-ص ١٩

"وقد كان التأثير الفارسي قوياً على فن التصوير المغولي ، ويعتبر عصر جلال الدين أكبر (١٥٥٦-١٦٠٥ م) العصر الذهبي للفنون بصفة عامة والتصوير بصفة خاصة حيث أسس مدينة (فتح بورسرى) وإستعان فى تجميل قصورها بفنانين من إيران والهند ، وكذلك ينسب له بداية ظهور التأثيرات الفنية الأوروبية بالإضافة إلى التأثيرات الفارسية فى البلاط المغولى ."^{٢٤}

والمنمنمات التي صورت في عهد الدولة المغولية بالهند تلخص بدقة الأطوار التي مرت بها حضارة الإسلام في هذا الإقليم ، وتبدأ هذه الأطوار بالإقتباس والإستعارة من أكبر الجيران وأقربهم وهى بلاد الفرس ولا فرق في ذلك بين لغة الفرس التي ظلت لبعض الوقت لغة رسمية للبلاط المغولى والمفردات والعناصر البنائية السائدة في إيران وأوسط آسيا ، أما في مجال تصوير المخطوطات فكان الإعتماد كاملاً على التقاليد الإيرانية بل وعلى الفنانين الإيرانيين ، وبعد فترة الإستعارة من جيران الشرق الإسلامي أخذت ملامح الواقع الهندي في الظهور وقد تشربت الروح الإسلامية ولكن هذا الإتجاه سرعان ما إنزوى أمام الزحف الحضاري الأوروبي الذي أكسب التصاوير المغولية الهندية طابعاً أوروبياً ظاهراً ."^{٢٥} تناولت موضوعات مجالس البلاط والقصور الملكية والنساء فى البلاط المغولى والمعارك الحربية ومجالس الطرب والموسيقى والموكب والأعياد ، وأيضاً الزهاد والحكماء فى كهوفهم.

شكل (٨) لوحة تمثل اسلوب التصوير المغولى : حيث صور الفنان بلشند" الأمير خورام منحنيًا بينما أبيه يضمه على صدره ليقبله من رأسه مودعاً إياه متمنياً له التوفيق فى المهمة التى أرسله لها ، و يجلس الإمبراطور فى شرفة القصر و يقف خلفه رجل من رجال البلاط و فوق العرش صورة أبيه أكبرمعلقة على الجدار المزخرف ، و باقى رجال البلاط و حملة الأعلام و قادة الجيش يقفون أسفل العرش رافعين أيديهم يودعون الأمير و يدعون له بالنصر و السلامة .

خارج السور يقف الحرس و الخدم بالأضافة إلى السائس الذى يمتطى فيلاً يبدو ضاحكاً و مزركشاً عند عنقه و على رأسه كما وضع غطاء فخم على ظهره، و اللوحة مليئة بالتكوينات البسيطة ليست بها أى تعقيدات لا فى الحركات و لا الأنفعالات ولا فى الزخارف ، و الألوان منسجمة ليس بها أى تضاد أو تنافر، و واضحة و صافية."^{٢٦}

نتائج الدراسة

من خلال الدراسة النظرية لهذا البحث توصلت الباحثة إلى النتائج التالية :

- ١- إن الفن الهندي كيان متكامل يضم كل الفنون من التصوير والنحت والرقص وهذا الكيان إعتد على المعتقدات الدينية واسلوب الحياة فى الهند ، وعلى مر الزمان حدثت له عدة تغييرات ليتواءم مع تغير المعتقدات الدينية والحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد .

^{٢٤} - أبو الحمد محمود فرغلى: التصوير الإسلامى نشأته و موقف الإسلام منه و أصوله و مدارسه- الطبعة الأولى -١٩٩١-

الدارالمصرية اللبنانية-القاهرة-ص ٣٦٤

^{٢٥} - جريدة الإتحاد: ٢٥ أبريل ٢٠١٥م -ابو ظبى

^{٢٦} - منى سيد على حسن: التصوير الإسلامى فى الهند (فى تسليات البلاط وحياة الشعوب فى البلاط المغولى الهندي) - الطبعة

- ٢- فن التصوير الهندي هو جزء من بناء المجتمع والغرض منه ليس جمالياً فقط بل هو أيضاً التعبير عن مشاعر الإنسن ومخاوفه وللتقرب للآلهة،
- ٣- إن العقائد الدينية ساهمت بشكل كبير فى تشكيل وجدان الفنان الهندي فإنعكس أثر ذلك على الفن الهندي.

التوصيات

- ١- الاهتمام بدراسة المعتقدات الدينية فى الهند والتي هى الأساس الذي يقوم عليه الفن والحياة عامة فى الهند .
- ٢- معرفة أثر التطور التكنولوجى الحديث ووسائل الاتصال على الحياة فى الهند وبالتالي على تطور الفن وعلى دخول أفكار جديدة وتطور أشكال المفردات التشكيلية للفن .
- ٣- دراسة مدارس وإتجاهات الفن الحديث وتأثيرها على الفن الهندي مع الاحتفاظ بالهوية الهندية.

ملخص البحث:

لقد أدى التنوع الجغرافى وطبيعة المناخ و الظروف البيئية فى الهند إلى تنوع سكان الهند و بالتالى تنوع ثقافتهم و عاداتهم و معتقداتهم الدينية، و أصبح الدين يمثل محوراً أساسياً فى حياة الشعب الهندي و قد أثر ذلك على جميع أشكال الفن فى الهند من (تصوير ، نحت ، عمارة ، فنون الأداء) ومن أهم المعتقدات الدينية فى الهند: الفيذا، البراهمانية، البوذية، الهندوسية، الجينية، السيخية، الإسلام.

كما ظهرت عدة مدارس فنية متأثرة تأثراً كبيراً بالعقائد الدينية الهندية من هذه المدارس: المدرسة البوذية ،مدرسة بالا،المدرسة الجاينية،المدرسة الدكنية وأخيراً المدرسة المغولية.

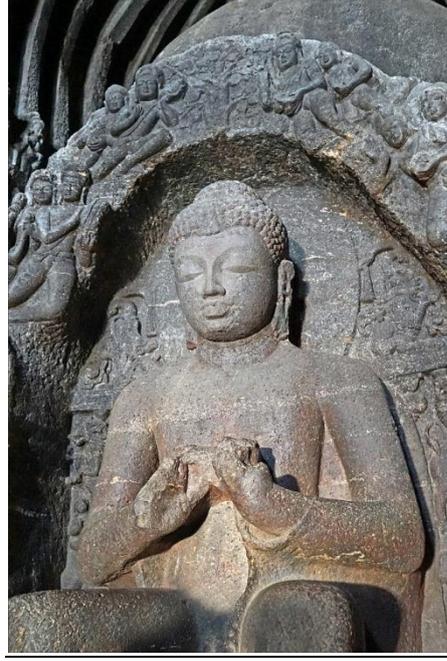
Summary

It is clear from the theoretical study that the geographical climate, the nature of the climate, the environmental conditions, the diversity of the population, and consequently the formation of their culture, customs, religious beliefs, and artistic forms in India. The most important religious beliefs are: Vedas, Brahmanism, Buddhism, Hinduism, Genetics, Sikhism

مراجع البحث

- ١- أمل نصر: جماليات الفنون الشرقية وأثرها على الفنون الغربية-آفاق الفن التشكيلي- الهيئة العامة لقصور الثقافة- الطبعة الأولى أبريل ٢٠٠٧
- ٢- أبو الحمد محمود فرغلي: التصوير الإسلامى نشأته و موقف الإسلام منه و أصوله و مدارسه-الطبعة الأولى -١٩٩١-الدارالمصرية اللبنانية-القاهرة
- ٣- ثروت عكاشة - التصوير المغولى الإسلامى فى الهند -موسوعة العين تسمع والأذن ترى - الجزء الثالث عشر - الهيئة المصرية العامة للكتاب
- ٤- ثروت عكاشة: موسوعة تاريخ الفن، العين تسمع و الأذن ترى - فنون الشرق الاقصى(الفن الهندى)- الطبعة الأولى - دار الشروق - ٢٠٠٥
- ٥- جريدة الإتحاد: أبو ظبى- عدد ٢٥ أبريل ٢٠١٥
- ٦- جفرى بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب - ترجمة إمام عبد الفتاح إمام-عالم المعرفة العدد ١٧٣-مايو ١٩٩٣م - المجلس الوطنى للثقافة و الفنون و الآداب- الكويت
- ٧- سعد المنصورى: محيط الفنون ،الفنون التشكيلية-الجزء الأول- دار المعارف مصر
- ٨- سماء محمد يحيى السيد: القيم الجمالية والتعبيرية لفنون حضارات وسط آسيا - رسالة ماجستير -كلية تربية فنية -جامعة حلوان - ٢٠٠٨
- ٩- الشهرستانى: الملل و النحل ،تعليق أحمد فهمى محمد ،المطبعة العصرية،بيروت، ١٩٩٢
- ١٠- علا زين العابدين محمد: الخصائص التشكيلية للمشغولات المعدنية الهندية و الإستفادة منها فى إستحداث مشغولات معدنية-كلية التربية الفنية- جامعة حلوان- ٢٠٠٧
- ١١-كريشنا شيتانيا - المساهمة الإسلامية فى الفن الهندي الحديث - بحث منشور
- ١٢-كريم حسين أحمد: دراسة مقارنة بين التصوير فى مدرسة إيران و مدرسة الهند الإسلامية- رسالة ماجستير - كلية الفنون الجميلة-جامعة حلوان -١٩٩٢م-
- ١٣-لمياء مصطفى صديق: جماليات التكوين فى الجداريات الدينية بالكهوف الهندية- رسالة ماجستير- كلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان- ٢٠٠٦
- ١٤-منى سيد على حسن: التصوير الإسلامى فى الهند (فى تسلييات البلاط و حياة الشعوب فى البلاط المغولى الهندي) -الطبعة الأولى
- ١٥-نعمت إسماعيل علام- فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية-دار المعارف-١٩٨٢م
- ١٦-يولا علي شاهين: التصوير المعاصر بين الحداثة والموروث فى مصر وسوريا والهند -رسالة ماجستير -كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان- ٢٠٠٥

قائمة الصور



شکل (۱) تمثال بوذا



شکل (۲) نحت یمثل پراهما



شكل (٣) نحت لفيشنو وزوجته لاکشمی فی معبد هيزاليشوارا، هاليبيدو.



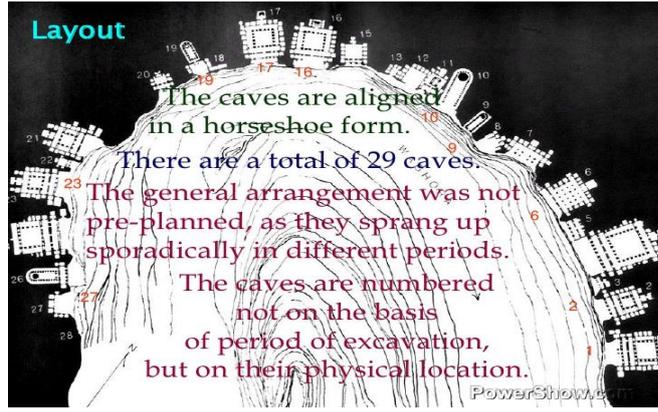
شكل (٤) نحت لشيفا و زوجته بافارتی يمتطيان الثور ناندی-معبد شيفا-هاليبو-كارناتاكا-

الهند.

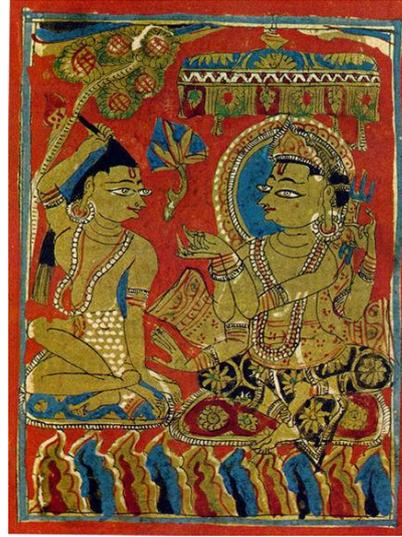


شكل (٥) لوحة كهف قديم أكتشف في منطقة باندا اوتار براديس- و تعرض اللوحة

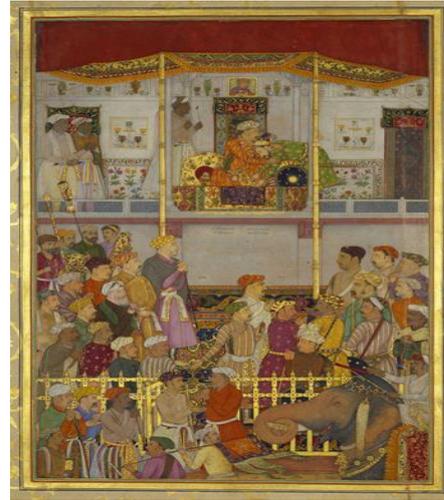
مجموعة محاربين يعقدون الرماح و أحدهم يركب حصاناً



شكل (٦) رسم تخطيطي لكهوف أجانتا



شكل (٧) تكريس ماهافيرة مؤسس العقيدة الجاينية- من مخطوطة (كالبا - سوتره) الجينية عام ١٤٠٤ م - جوجرات- المتحف البريطاني-لندن.



شكل (٨) جهانجير يحتفل بتوديع الأمير خورام لمعركة ميور في ١٦١٤م-ألوان مائية على ورق-٤٥×٢٨-المكتبة الملكية(قلعة وندسور) - الفنان بل